قام الشعراء بمديح الحكام والملوك ونصر سياستهم فى بغداد حيناً ، وفى القاهرة حيناً آخر ، وفى دمشق أحياناً . وقيل فى فيصل الأول وحكمه ما قيل من شعر يعيد إلى الذكرى عصبية العرب وخلافة الإسلام . وقيل فى ملوك مصر أكثر من هذا ، حتى طمع آخرهم فى خلافة المسلمين وجمعهم إلى ركابه ، ينظرون إلى عرشه فى القاهرة . وقال الشعراء يمدحونه لهذا ويشهدون له بنسب قرشى هبط إليه على ألسنة الوحى ! ولكننا لن نبسط القول فيه فقد ذهب مع التاريخ وغابت الأشباح . وقد قامت ثورات فى العالم العربى وحكم رجال خلالها فتلقاهم مديح الشعراء لعظيم سياستهم وجميل حكمهم والإشادة بديمقراطيتهم ، وتوزيعهم العدالة بين الشعب ، وحربهم ضد الأدواء الثلاثة من جهل وفقر ومرض . وانقلب المديح السياسى إلى قواعد غربية ، فيها عكوف على حقوق الفرد ، وبيان لعلاقة الحاكم بالمحكوم ، ودستورية الحكومة .

ولم يقف المدح السياسى خلال هذه الحقبة الماضية على الملوك والحكام والخلفاء ، وإنما انتصر للقادة السياسيين والزعماء المخلصين ؛ فامتدح سعد زغلول فى مصر وإبراهيم هنانو فى الشام ، وامتدح غيرهما من الزعماء والأنصار ، وما نزال نسمع فى المذياع ونقرأ فى الصحف مديحاً للساسة فيه إشادة بمزاياهم لتعلقهم بأهداب الوطن والدفاع عن حماه والذود عن حياضه ضد كل مستعمر غاصب ، حتى قامت فى السنين الأخيرة مدائح لأحزاب معينة تقوم ضد المشروعات أو الأحلاف ، وأصبحنا نعيش كما يعيش الغرب على شعر سياسى فى المديح ، يهيئ للانتخابات ، ويمهد للزعامات ، ويوطئ الأكناف لتسلم الحكم . والأمثلة على هذا متوافرة تقوم بيننا صباح مساء ، نقرؤها ونمرّ بها عابرين ، وهى أجدر أن تجمع وأن تبوّب لأنها تعيد ذكرى ماضينا ، وذكرى عصبياتنا القديمة بين بكر وتغلب ، ويمانية ومضرية وسفيانية ، فهى تعيش بالألفاظ القديمة وتنظم بالأفكار الجديدة ، وتكتب بأسلوب العصر السياسى ، فتسير فى مواكب القرن العشرين ، وتقلد الغرب فى الدعاوة للأحزاب وأصحابها وزعمائها .